التوجهات الاسرائيلية تجاه دول القوقاز
جورجيا أنموذجاً ٢٠٠٠-٢٠٠٩

الدكتور عامر علي راضي العلاق(*)

المقدمة

مثل انهيار الاتحاد السوفيتي نقطة فاصلة في العلاقات الدولية خلال القرن العشرين وأحدث تحولا في التفاعلات الاقتصادية والسياسية والعسكرية ومتغيرا في موازين القوى الإقليمية على صعيد المنطقة وجوارها، وأصبحت الدول المستقلة عنه في مفترق طرق ومواجهة حشد من الاحتمالات والمصاعب والخيارات على صعد داخلية وإقليمية ودولية لأنها وقعت تحت أعباء اقتصادية وسياسية وأمنية واجتماعية وحاجة ملحة إلى تهيئة واقع الاستقرار السياسي والاجتماعي وهي من مستلزمات الانتعاش الاقتصادي وتطلعت إلى الخارج للخلاص من مأزقها بسبب افتقارها إلى الخبرة السياسية، كما أوجد تنافسا قويا من الأطراف الدولية والإقليمية لتلبية احتياجاتها من جهة ولأهمية هذه المنطقة من جهة أخرى.

والذي نركز عليه في دراستنا هي دول جنوب القوقاز (أذربيجان وأرمينيا وجورجيا) والتي أصبحت مركز جذب واهتمام القوى الكبرى والدول المتطلعة لأخذ دور ريادي وتنافسي فيها ظن(منهم أن قوة روسيا قد تلاشت، خاصة الولايات المتحدة التي راقبت المنطقة بعين حذرة طامعة فيها وبمواردها وشاطرتها إسرائيل وكما هو شأنها في كسب الموقع حول المنطقة العربية) بعد أن دخلت القوقاز بوقت مبكر والتوغل إلى مدارك أغلب قياداتها السياسية بالاعتماد على وسائلها الفاعلة لكي تكون لها الكلمة في أي دور يمكن أن يكون لهذه الدول في المعادلة العسكرية في الشرق الأوسط مع وجود شعور قوي عند رؤساء هذه الدول من إهمال الدول العربية لمطالبهم في شتى المجالات وعدم ارتياح بعضهم من سياسة روسيا.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة أنها تسلط الضوء على خطوة إسرائيلية ذات مغزى استراتيجي إذا نظر إليها في سياق معادلة الأمن في القوقاز والشرق الأوسط، لأن ما يجمع دول القوقاز و إسرائيل من قواسم مشتركة أكثر من الحصول على المكاسب المادية والهجرة وإمدادات الطاقة وغيرها.

(*) وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

فالخوف من إيران والفزع من الأصولية الإسلامية والشك من المواقف الروسية والرغبة في الاندماج مع الغرب هي أكثر جذبا للآخر كما هي تجسيد للحكمة السياسية التي تقول بأن الدول المحاطة بالأعداء غالبا ما تبحث عن تحالفات بعضها مع البعض، وصولا إلى حقيقة أن إسرائيل تلجأ إلى استكمال المشروع الصهيوني جوانبه الإقليمية والسياسية المخطط لها والمتدرجة ليس من المهم أن تكون دفعة واحدة فهو قد يسير بسرعة مع ويبطئ مع طرق آخر في آن معا ألا أن الهدف واحد.

فرضية الدراسة:

تاريخيا وضعت روسيا أعينها على منطقة القوقاز وأي طرح يستبعد هذه المنطقة من مفهوم الأمن القومي الروسي يعني إبعاد روسيا عن مناطق بالغة الأهمية في الصراع الدولي وعلى رأسها المنطقة العربية وجوارها التركي وآسيا الوسطى، بما يعني تتداخل اعتبارات عديدة تؤثر بعمق في العالم الإسلامي سواء بعض أطرافها مسلمون أو لأنها تؤثر في مناطق إسلامية مجاورة هذا من جانب، ومن جانب آخر لا يمكن تحليل التوجه الإسرائيلي نحو القوقاز خارج سياق استعراض للاستراتيجية الإسرائيلية بصورة عامة خاصة بعد أن أطمئنت على جوارها العربي والإسلامي إلى حد معين. وأصبح الفلسطينيين مصدر إزعاج لها ليس إلا وبالتالي لا يوجد تهديدا وجوديا لكيانها إلا من مصدرين هما –

-- حيازة الأسلحة النووية من جانب قوة لا يمكن ردعها بسهولة –إيران--
-- ظهور قوى عظمى على استعداد للتدخل علنا أو سرا في المنطقة لمصالحها والقوة المرشحة لهذا الدور هي روسيا التي يمكن أن تهدد توازن القوى في المجال السياسي الإسرائيلي والخشية منها أن تزود بعض الأطراف بالأسلحة الحديثة.

وتنطلق الفرضية من الإجابة على تسائل لماذا يتورط الإسرائيليون في شؤون بعيدة عن منطقتهم مثل جورجيا؟ لذلك يمكن إثبات –

-- رأت إسرائيل في الأجواء العكرة والمتوترة في منطقة القوقاز وتحديدا في جورجيا منجما للثراء الأمني كونها بيئة مهيأة للنجاح الأكيد.
-. لأن جورجيا تقع استراتيجيا في مجال روسيا الحيوي، وقدر الإمكان تحاول إسرائيل استخدامها ورقة ضغط قوية ضد روسيا للمقايضة على مناطق أخرى ونقاط اختلاف في الكثير من الملفات.
- وعي إسرائيل لحساسية روسيا في مسألة النفط والغاز والإشراف على مروره في مجالها الجواري الحيوي مع قوة التواجد الأمريكي والغربي في المنطقة.
- رأت إسرائيل في جورجيا مثابة متقدمة للانقضاض على المنشآت النووية الإيرانية عندما تحين الفرصة.

وفيما يتعلق بمنهجية الدراسة فقد اعتمدت على المنهج المقارن والتحليلي وكذلك المنهج التاريخي وبحدود ضيقة، ووفق الإطار العام فقد تم تناول الآتي –

-- صراع المصالح والقوى في منطقة القوقاز.
.- الإطار الاستراتيجي للتوجه الإسرائيلي نحو منطقة القوقاز.
- عوامل نجاح إسرائيل في توجهها نحو القوقاز.
- جورجيا (نموذج()).

صراع المصالح والقوى في منطقة القوقاز:

أن الحقائق التي أتت بها نهاية الحرب الباردة بانتصار الولايات المتحدة قد وضعت العلاقات الدولية أمام اختبار صعب وظهور روسيا الاتحادية بوصفها وارثة الاتحاد السوفيتي الشرعية وكونها أكبر الجمهوريات التي استقلت منه والساعية إلى الحفاظ على مركزها كقوة عظمى بعد فقدان حلفائها في المنظومة الاشتراكية وثروات آسيا الوسطى في محاولة منها لإعادة صورتها وإثبات وجودها بعد مرورها بمراحل تحول ووجود قيادة مصممة مع ازدحام منطقة آسيا الوسطى والقوقاز بقوى دولية وإقليمية تتنافس للسيطرة عليها ليس فقط من قبل روسيا والصين وتركيا وإيران بميراث تاريخي وجغرافي أصيل، بل بدخول الولايات المتحدة و إسرائيل بتطلعات وأعده طامعة في الإقليم وموارده، كما تموج المنطقة بحركات إسلامية مسلحة لا تشتبك مشروعاتها مع السيطرة الخارجية فحسب بل وتتصادم مع النظم الحاكمة في صراعات دامية أوصلتها في بعض الاحيان إلى كارثة الحرب الأهلية، بما يعني يمكن رؤية المنطقة جزيرة من الثروات والمواقع الاستراتيجية المهمة يحيطها بحر من الأيديولوجيات(0). وبعد أحداث . أيلول عدت المنطقة جزءا من القواعد العسكرية للولايات المتحدة الساعية إلى تثبيت وجودها في المنطقة برضا روسيا –أو عدمه– بعد سوق مفهوم محاربة الإرهاب، ورغم عدم وجود قواعد عسكرية أمريكية في أذربيجان فان التعاون العسكري الأمريكي ازداد بشكل نوعي معها، مع الحرص على التغلغل بين السكان المحليين وجعلهم يقطفون ثمار الوجود الأمريكي، وأرسلت جنودها لأول مرة إلى جورجيا في نهاية فبراير تحت عنوان تدريب القوات الجورجية لمحاربة الفارين من أفغانستان ومن المقاتلين الشيشان الذين تسللوا إلى جورجيا من روسيا، ومن جانبها كانت روسيا تأمل أن تتعطل الاستثمارات النفطية في بحر قزوين لأطول مدة ممكنة حتى لا تحصل جورجيا وأرمينيا وأذربيجان على استقلالية سياسية واقتصادية، رغم أن روسيا ما تزال تملك قوة عسكرية إقليمية لا يستهان بها مع بقاء جيوش هذه الدول في حاجة ملحة للدعم العسكري الروسي نظرا لاعتمادها على

---

(0) . **عاطف عبد الحميد، أبعاد الصراع على نقط آسيا الوسطى وبحر قزوين، مجلة السياسة الدولية، العدد** . .

الترسانة السوفييتية في الإمداد وقطع الغيار وعمرات الطائرات والمساعدات الخدمية الأخرى، بل لا تزال بعض جيوش هذه الدول تتبنى العقيدة العسكرية الروسية ويجري تنظيمها وتدريبها وتسليحها طبقا لهذه العقيدة وهذا هو السبب في ارتباط هذه الجيوش مع مؤسسات عسكرية روسية عديدة لها أفرع في القواعد العسكرية الروسية الموجودة في هذه الدول(0).

لاشك أن هذه الدول قد واجهت معضلة حقيقية في طبيعة البنية السياسية والاقتصادية التي ورثتها من الاقتصاد الاشتراكي في محاولة منها للتعبير عن ذاتها كدول مستقلة ساعية إلى مد جسور العلاقة مع أطراف دولية وإقليمية بسبب حداثتها وافتقارها إلى الخبرة في التعامل الدولي وأصبحت موضع منافسة من قبل العديد من الأطراف التي حاولت استثمار هذا الواقع.

فمنطقة قزوين –حتى قبل اكتشاف ثروات الطاقة من نفط وغاز فيها– كانت محل تنافس بين القوى والإمبراطوريات الفاعلة في حينه، أما بعد اكتشاف الطاقة فيها فقد أصبحت محل صراع بين القوى جميعا، لأن المنطقة تمتاز بموقعها الفريد باعتبارها البوابة التي تربط آسيا وأوربا كما امتازت بغناها ألاثني المتنوع منذ آلاف السنين، وبخلاف غالبية القضايا والمشكلات التي ظهرت كنتيجة مباشرة لانتهاء الحرب الباردة فان قضية إقليم القوقاز تعتبر نموذجا للقضايا التي تتعدى عواملها واحتمالاتها المستقبلية حدث تفكك الاتحاد السوفيتي عام ، فهي تمثل مشاكل داخلية قائمة قبل تأسيس الاتحاد السوفيتي نفسه وبالتالي لها جذور تاريخية عميقة وطبيعة المسار الذي ستتخذه مرتبط بصورة كبيرة بطبيعة مسارات المشكلات العرقية الأخرى في محيطها الإقليمي(0). والمنطقة بالأساس تقع على خط تماس مصالح إقليمية ودولية متناقضة زاد من تعقيدها إضافة عوامل مستجدة أبرزها اكتشاف النفط بكميات ضخمة في أذربيجان وسواحل بحر قزوين(0). وفي شمال القوقاز يحبذ الشيشانيون القول بأنهم كانوا ومازالوا يقاتلون الروس مع حصول توقفات قصيرة رافضين الحكم الروسي، إذ غالبا ما شهروا السلاح بوجه الإمبراطورية الروسية قبل أكثر من ثلاثمائة سنة مضت. وكان آخرها عام ومازالت مستمرة، ويصر الروس على أنها ليست حربا وإنما عملية ضد الإرهاب، وقد أصاب أمريكا حينها الإحباط نتيجة مستوى العنف الذي استخدمته روسيا بسلاحها الثقيل

---

(0) المصدر نفسه، ص . .

(0) محمد نور الدين، تركيا الجمهورية الحائرة، مركز الدراسات الاستراتيجية والتوثيق، بيروت، .

(0) المصدر نفسه، ص .

ضد الشيشان وعدد اللاجئين الذين خلفته الحرب ومع ذلك ليس من اليسير التدخل في شؤون روسيا الداخلية[0].

ونجد أن التحالف بين أرمينيا وروسيا تاريخي قبل أن يكون استراتيجي، فمنذ أن كنت روسيا القيصرية تعادي تركيا العثمانية وأرمينيا تمثل مكانة هامة في تحالفات منطقة القوقاز، ويمكن أن نقدر حجم الدور الروسي لأرمينيا من خلال تطوير روسيا لأعمدة الاقتصاد ألأرمني وعلى رأسها إنشاء محطات الطاقة النووية واتفاق الشراكة المبرم بين البلدين في عام برأس مال قدره مليون دولار والذي يضمن تدفق النفط والغاز إلى أرمينيا، وعسكريا تسعى روسيا إلى تحقيق الأمن القومي ألأرمني في مواجهة أذربيجان وتعد اتفاقية عام أساسا لإنشاء قواعد عسكرية روسية في أرمينيا، ومما يشجع روسيا على توجهها لدعم أرمينيا هو التسليح التركي القوي وتمركز قواعد الناتو بأراضيها على مقربة من النزاع على إقليم كاراباخ المتنازع عليه بين أذربيجان وأرمينيا، والأهم أن روسيا يقلقها التحالف الأذربيجاني مع الغرب وترديدهم الدائم (لا داعي لمزيد من ارتماء أذربيجان في أحضان الغرب لأن ذلك ببساطة لا يصب في مصلحتنا) في جانب أخر تمثل إيران شريان الحياة لأرمينيا في ظل حصارها من الشرق بأذربيجان ومن الغرب بتركيا، وقد دعمتها في أزمة إقليم كاراباخ لأسباب اقتصادية أولها – ينيا تحتاج إلى النفط الإيراني بينما أذربيجان تبيع النفط كإيران، وثانيهما – أن أذربيجان في بداية استقلالها تحالفت مع تركيا مما يعني إزاحة إيران من المنطقة، وحقيقة هذه مفارقة يمكن توثيقها في العلاقات الدولية، بأن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تقف إلى جانب أرمينيا المسيحية على حساب أذربيجان المسلمة الشيعية، خاصة وأن عدد الأذربيجانيين في شمال إيران (يفوق (ملايين نسمة) والذي يقترب من عدد سكان أذربيجان ذاتها [0].

ولا تخفي تركيا –شقيقة العرق واللغة والديانة لأذربيجان– دعمها لأذربيجان في مواجهة أرمينيا، ويؤكد الباحثون خطورة الدور الذي تلعبه تركيا بتكاتفها مع أذربيجان في حصار أرمينيا وجعلها تعاني من عجز اقتصادي شديد بسبب وقوعها في موقع حبيس لا تخرج منه[0].

---

[0] لماذا قيام الحرب في الشيشان، ترجمة سميرة إبراهيم، نشرة قضايا دولية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، عدد .

[0] عاطف معتمد عبد الحميد، لعبة الأمم في ناغورني كاراباخ، شبكة المعلومات الدولية:/www.islamonline.net/servlet/

[0] المصدر نفسه.

وتمثل منطقة القوقاز الحيز الجيوسياسي الأكثر أهمية لمشروع الهيمنة الأمريكية والذي تعد إسرائيل شريكا رئيسيا فيه والساعية إلى تقديم عدد من الخدمات لحليفتها وفي مقدمتها القيام بدور الوكيل الأمريكي والذراع الذي يقوم بإيصال دعم الولايات المتحدة إلى جورجيا، والقناة لتمرير المعلومات الاستخبارية التي يتم تجميعها عبر الجماعات اليهودية المنتشرة في القوقاز وآسيا الوسطى إلى الولايات المتحدة منذ أيام الاتحاد السوفيتي، وعليه لا يمكن بأي حال إغفال أهمية منطقة القوقاز بالنسبة للتوازنات الاستراتيجية العالمية رغم تشكيل هذه المنطقة لامتداد حقيقي للمسرح الجيوسياسي العربي في صراعه مع الكيان الصهيوني مع وجود العديد من الروابط التاريخية والجغرافية والدينية التي تجمع المنطقتين المتجاورتين[0].

عندها أضحى إقليم القوقاز وكذلك آسيا الوسطى على قمة ساحات القتال الرئيسية التي تتصادم فيها مصالح الولايات المتحدة وحلفائها مع مصالح روسيا والصين خصوصا وإيران بالأخص، واغتنمت إسرائيل هذه الفرصة سياسيا واقتصاديا وعسكريا لاسيما وأنها تعاني من أزمة هوية وعزلة في محيط الشرق الأوسط والذي يعتبر أحد الدوافع لتوجه إسرائيل نحو القوقاز، الذي جاء متزامنا مع استراتيجية الحزم التي تنتهجها الولايات المتحدة ضد روسيا وإيران ويغذي التحالف التركي–الإسرائيلي، ونجحت إسرائيل مستفيدة من مباركة الولايات المتحدة الأمريكية في أن تكون على مقربة من إيران راصدة مراكزها الجيوستراتيجية من جهة ومنح إسرائيل الشرعية في هذا الإقليم المهم من جهة أخرى ولكن في المقابل أدى ذلك إلى تقارب إيراني روسي[0].

الإطار الاستراتيجي للتوجه الإسرائيلي نحو منطقة القوقاز:

من الصعب أن نجد دولة تتمثل في ظروفها مفاهيم الأمن والدفاع بمثل التعقيد الذي نجده في حالة إسرائيل وتاريخها المضطرب غير المعروف على وجه التحديد إلى الآن، ومعضلة الأمن هذه قد أحاطت دوائرها بشبكة عنكبوتية انتشرت لمسافات بعيدة إقليميا ودوليا، وساهمت عوامل كثيرة في قلق المناخ الأمني المعقد المحيط بها من بينها التاريخ الطويل بالحروب والمنازعات حيث هناك دائما سبب للتوجس والتحسب واستشعار الخطر من الجميع –الأصدقاء والأعداء– ولا تنسى إسرائيل أنها اضطرت في بعض الأحيان أن تدافع عن نفسها في عدة جهات في الوقت نفسه، وعليها أن تكون دائمة الاستعداد لمواجهة الأسوأ والتهيؤ للغد الذي تخشاه، رغم التطورات التي قللت بشكل ملحوظ من مستويات التهديد الموجه لإسرائيل

---

[0] هشام منور، تمدد النفوذ الإسرائيلي في آسيا الوسطى، شبكة المعلومات الدولية:http://almoslim.net/node/117559

[0] . محمد رفعت الإمام، الاستراتيجية الإسرائيلية في القوقاز: اللعب على المتناقضات، السياسة الدولية، العدد :

.

مثل اتفاقيات السلام مع مصر واتفاقية أوسلو مع الفلسطينيين عام واتفاقية السلام مع الأردن عام وحرب الخليج الثانية عام وما تلاها باحتلال العراق عام ( ). إلا أنه هناك شبه إجماع داخل إسرائيل بأنها في حاجة لترتيبات أخرى وقدرات عسكرية كبيرة في المدى المنظور، لأن ما حدث من تقدم في العملية السلمية لن يؤدي إلى تناقص مواز في مستوى الاستعداد العسكري، وحتى في حالة تحقيق إنجاز على المسار العربي سوف يستمر عدم اليقين في مستقبل العلاقات واستقرارها في المنطقة لمدة طويلة قادمة، لأن عقيدتها العسكرية قائمة على أساس غياب عمقها الاستراتيجي الأمر الذي يحد كثيرا من قدرتها على المناورة والحركةوجعلت استراتيجيتها تقوم على نقل المعركة خارج حدودها( ).

لذلك تدرك إسرائيل وتتحسس وتخطط للمستقبل جيدا وترسم استراتيجيتها السياسية في معادلة الصراع العربي–الإسرائيلي، وفي مضمار هذا الصراع ثمة حقيقة لا يجوز الخطأ في قراءتها هو أن الزمن سيكون ضد مصلحة إسرائيل. وبناء على ذلك فأنها تعمل ليس فقط على تعطيل فاعلية هذا القانون وإنما في تعطيل كل القوى التي يمكن أن تكون ظهيرا استراتيجيا للعرب، ولهذا فان نسجها لعلاقات خارجية مع العديد من الدول في محيط العلاقات الدولية لم يكن لاعتبارات اقتصادية أو تجارية أو ثقافية وحتى تكنولوجية وحسب وإنما لاعتبارات أمنية–عسكرية بالدرجة الأولى، مع التدرج في مختلف مجالات ومستويات هذه العلاقة ويكون نجاح التوجه الإسرائيلي أو فشله وفق ما قد يدخل عليه من تعديلات تمليها متغيرات الواقع( ).

وقد أجمعت كافة التحليلات أن تداعيات أحداث أيلول وحرب أفغانستان وبالأخص احتلال العراق عام قد أزاح هما أمنيا عن كاهل إسرائيل وحققت هدفا رئيسيا من أهم أهداف التوجه الإسرائيلي في إقليم القوقاز، وفسح المجال لصياغة رؤية أمنية جديدة تعزز المكانة الاستراتيجية لإسرائيل ووسع الهوة بين قوتها وقوة البلاد العربية التي ثبت ضعفها على ضوء التجربة العراقية، وأحدثت نقلة نوعية في رؤية إسرائيل لظهيرها الاستراتيجي، وتهيأت الفرصة لارتباط الأمن الإسرائيلي بهذا الإقليم ذي الخاصية الجيوسياسية، ولتحقيق استراتيجيتهم في القرن الواحد والعشرين التي ترمي إلى خلق نفوذ إسرائيل في المناطق النائية عن حدود الجوار القريب تحسبا لمجابهة التهديدات المستقبلية من

( ) . **محمد قدري سعيد، عملية اتخاذ القرار في شؤون التسليح: الحالة الإسرائيلية، السياسة الدولية، العدد** : : – .

( ) **المصدر نفسه، ص** .

( ) **جميل هلال،المشروع الإسرائيلي للنظام الإقليمي،مجلة الدراسات الفلسطينية،مؤسسة الدراسات الفلسطينية،بيروت،العدد ،ربيع** .

جانب الدول الإسلامية غير العربية (إيران، القوقاز، آسيا الوسطى). ولما كانت إيران الإسلامية النووية النفطية على رأس الدول التي تهدد أمن إسرائيل لاسيما بعد تدمير العراق، فان كل دولة تجاور إيران وأي دولة متصلة بها قد تمثل تهديدا استراتيجيا لإسرائيل لابد أن تدخل في حزام الظهير الاستراتيجي الإسرائيلي( ).

ونجد هنا من يقول أن إسرائيل تعقد أمالا على أذربيجان في ضرب إيران بعد أن وجدت في أذربيجان رغبة عارمة من أجل بناء أذربيجان الكبرى بضم % من سكان إيران ذوي الأصول الأذرية، عندها تكون أذربيجان المتحضرة والمزدهرة قوة حليفة لإسرائيل لا يستهان بها في الظهير الاستراتيجي الإسرائيلي(%).

ومن المؤكد أن الملف الإيراني النووي الساخن يزداد استعارا ويكاد يجمع الخبراء الإسرائيليين على أن إيران قد تزج بإسرائيل في حالة حرب، لذلك فان البعد النووي الإيراني يمثل محورا رئيسيا في الاستراتيجية الإسرائيلية بالقوقاز ولابد من تواجدها في هذه المنطقة لتستخبر وتستعلم عن نوويات إيران، فضلا عن الخشية من إيران لتشكيل محور إسلامي مع دول المنطقة ذي الخبرة النووية يكون مضاد للصهيونية، لذلك فان إسرائيل غير مضطرة حاليا للتعامل بشكل مباشر مع الملف الإيراني إلا أنها تراقب جميع التصرفات وتركت التعامل مع هذا الملف إلى الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي فيما أطلق عليه رفض المجتمع الدولي للبرنامج النووي الإيراني( ).

وهناك حقيقة وجود خشية وقلق إسرائيلي من توطيد العلاقات الروسية مع كل من سوريا وإيران على حساب العلاقات الروسية الإسرائيلية ما يعني هناك ثمة تدهورا مستمرا ومتواصلا في العلاقات الروسية الإسرائيلية ربما تصل إلى حد مساندة عسكرية مباشرة لسوريا وإيران في حال مهاجمتهما من قبل الجيش الإسرائيلي( ). بل أن ما يخيف الإسرائيليين هو أن تتحرك روسيا في مهمة خفية في مصر لتثبيت مصالحها الخاصة(٠).

وفي مجال آخر أن التوجه الإسرائيلي نحو القوقاز يرتبط ايضا بمصالح إسرائيل وتأمين الإمدادات النفطية والحفاظ على خط إمداد النفط باكو–تبليسي–جيهان الذي يعمل على نقل النفط الخام من أذربيجان عن طريق جورجيا إلى الأراضي التركية ومن ثم إلى إسرائيل، وتدرس إسرائيل وتركيا وجورجيا وأذربيجان وتركمانستان فكرة مد خطوط النفط والغاز

( ) . محمد رفعت الإمام، مصدر سابق، ص .

( ) المصدر نفسه، ص .

( ) خالد حسن، الاستراتيجية الإسرائيلية بعد الحرب الروسية، مجلة العصر /// ، شبكة المعلومات الدولية: http://www.alasr.ws/index.cfm

( ) خالد سعيد، مستقبل العلاقات الروسية الإسرائيلية، شبكة المعلومات الدولية:http://anntv.tv/articleDes.asp ?

( ) خالد حسن، مصدر سابق.

من ميناء جيهان جنوب تركيا إلى ميناء عسقلان وإيصاله إلى إيلات في إسرائيل تمهيدا لإعادة تصديره عبر المحيط الهندي إلى الشرق الأقصى، وتسعى شركات النفط الإسرائيلية إلى الحصول على تأييد الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة لهذا المشروع وهو أمر ليس بالصعب( ).

عوامل نجاح إسرائيل في توجهها نحو القوقاز:

:- الأوضاع الداخلية في منطقة القوقاز:

القوقاز أو القفقاس منطقة جبلية واسعة تقع بين بحر قزوين شرقا والبحر الأسود غربا حيث تقسمها سلسلة جبال القوقاز الكبرى في الشمال والقوقاز الصغرى في الجنوب، وتتشارك في هذه المنطقة الحيوية جمهوريات (روسيا وجورجيا وأرمينيا وأذربيجان) وفي محيط هذه الجمهوريات تنضوي مجموعة جمهوريات تبحث عن الاستقلال أغلبها إسلامية مثل (داغستان والشيشان وأنجوسيتيا وابخازيا و أوسيتيا والأديغة وأجاوريا وغيرها)، ويتسم القوقاز بتنوع عرقي كبير وهو أمر راجع إلى كون الإقليم معبرا أرضيا مرت عبره موجات بشرية عديدة تحركت بين آسيا وأوربا وأفريقيا وتبعه تنوعا لغويا واثنيا يندر أن نجد له مثيلا في بقعة من الأرض لها تلك المساحة الصغيرة التي يقطنها أكثر من ( ) شعبا يتحدثون لغات مختلفة ولهجات متنوعة، وقد أطلق الرحالة العرب على هذا الإقليم مسمى (جبل الألسن) في إشارة بليغة إلى التنوع الكبير في لغاته، وكان مدار صراعات وحروب بين إمبراطوريات تاريخية (العثمانية والروسية والفارسية)، وأن التحكم بهذا الإقليم يعني السيطرة على الحدود الغربية لروسيا، فضلا أنها منطقة مفتوحة لإمدادات النفط والغاز من بحر قزوين لأوربا وغيرها( ).

وتعد منطقة جنوب القوقاز ذات مجموعة من الهموم الأمنية المختلفة، أبرزها الصراعات الخامدة –المتجددة– تقريبا في ابخازيا وأوستيا الجنوبية (كلاهما إقليم انفصالي في جورجيا) وفي ناغورني كاراباخ (إقليم أذري مستقل بحكم أمر واقع ويقع إلى حد بعيد تحت سيطرة أرمينيا)، وثمة عامل بارز في وضع المنطقة الأمني هو تورط جهات خارجية فاعلة، اذ تتنافس روسيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوربي بصورة متزايدة في الوصول إلى ما في المنطقة من مصادر طاقة وطرق عبور وامتلاك السيطرة عليها، كما يعود الاهتمام الروسي إلى موقع المنطقة الجغرافي المهم بالنسبة إلى حرب الولايات المتحدة على الإرهاب، ومن وجهة نظر اقتصادية وعسكرية قد أفضى هذا الوضع إلى تزايد الإنفاق العسكري لبلدان المنطقة الثلاث جورجيا وأرمينيا وأذربيجان بنسبة تزيد على % بالمئة خلال الأعوام

( ) عبد العزيز شادي، التغلغل الإسرائيلي في القوقاز، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، سبتمبر وكذلك منشور على موقع شبكة المعلومات الدولية:http://www.amlalommah.netaml

( ) محمد بن عيسى الكنعان، لغز القوقاز في حرب الروس والكرج، صحيفة الجزيرة، العدد في رمضان هـ.

العشرة – وخاصة جورجيا مقارنة بحجم اقتصادها، ويبدو واضحا أن العامل الدافع لهذا الإنفاق هو الصراعات التي لم يتم التوصل إلى حلول لها وتطلعات هذه الدول للانضمام إلى حلف الناتو وتحقيق معاييره –كثقل موازن إزاء روسيا–، والتكلفة الباهظة المقترنة بالتحول والتحديث وعلاقة كل دولة على حدة مع دول مجاورة أو تهديدات متصورة صادرة من هذه الدول، والجهود المبذولة لتأمين مصادر الطاقة وطرق ايصالها، ومما يعزز مفعول هذه العوامل الدافعة هي الموارد التي أنتجتها إصلاحات اقتصادية وعائدات نفطية مرتفعة ومتصاعدة( ).

ونتيجة للحساسيات والهواجس والذي على أساسه تتعقد المواقف وتزداد سوءا، فقد قامت روسيا عام بنقل معدات عسكرية من قاعدتها في باتومي/جورجيا إلى قاعدتها العسكرية ( ) في غيومري/أرمينيا وهو ما تراه الحكومة الأذربيجانية مساعدة عسكرية روسية لأرمينيا وأن مثل هذه الخطوة يمكن أن تطلق سباق التسلح في جنوب القوقاز، وهو ما تم بالفعل وخاصة عام بهدف بناء جيش قوي يكون قادرا على تحرير الأراضي الاذرية بأي وسيلة، ومن جانبه أكد وزير الدفاع الأرمني سيرج سركيسيان أن أرمينيا تتمتع بقدرة قتالية تفوق القوة الأذرية ولها جهوزية قتالية في حال استئناف القتال بين البلدين.

أما في جورجيا فقد تولى الرئيس الجورجي ميخائيل ساكاشفيلي الرئاسة في كانون الثاني وقد ورث بلدا منهكا لا يملك السيطرة الكاملة على أراضيه بسبب ضآلة التمويل والغش والفساد، لهذا واجهت الحكومة مهمات مستحيلة سواء لجهة إعادة المجتمع أو إصلاح الاقتصاد وبعث النشاط في القوات المسلحة لاستعادة الأراضي، ولتحقيق هذه الأهداف قررت الحكومة إقامة علاقات أمتن مع الغرب بدلا من روسيا واتخذت خطوات جدية بهذا الاتجاه وتلقت مساعدات عسكرية من عدة دول أعضاء في حلف شمال الأطلسي وخاصة الولايات المتحدة( ). وهي بصورة عامة بلد(منخفض الدخل (طبقا(لتعريف البنك الدولي) حيث يعيش) % من سكانها البالغ عددهم . مليون نسمة تحت خط الفقر ((دولار يوميا) وما تزال الصراعات في ابخازيا وجنوب أوستيا مستمرة دون الوصول إلى حل و زاد الموقف في أب تعقيدا مما أثر على السكان( ).

وتعد أذربيجان ذي الأغلبية المسلمة أقل نموا على الصعيد الصناعي من جارتيها القوقازيتين جورجيا وأرمينيا مع ارتفاع البطالة وانخفاض مستوى المعيشة، واعتمادها بصفة

( ) **بيتر ستالنهايم وآخرون، الإنفاق العسكري، كتاب التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي مركز دراسات الوحدة العربية، سيبري، بيروت، ص . .**

( ) **المصدر نفسه، ص . .**

( ) **برنامج الأغذية العالمي، شبكة المعلومات الدولية:/http://one.wfp.org/arabic ?**

رئيسية على إنتاج النفط والذي يعد أهم صادراتها والغاز والقطن وتمكنت من إبرام ( ) ترتيبا للإنتاج المشترك مع شركات أجنبية تعهدت بنحو) بليون دولار لتطوير حقول النفط بدأً من عام ، وشهدت نموا قدره % منذ عام ونمو أكثر في عام – نتيجة المفاوضات مع الشركات الأجنبية للاتفاق على ترتيبات الإنتاج المشترك على المدى الطويل وكذلك من خلال بناء أنابيب باكو–جيهان لنقل النفط، إلا أن أذربيجان تعاني من معضلة إيواء النازحين من صراعها مع أرمينيا الذين مازالوا يعيشون في مأوى مؤقت في الريف، وتم عام إسكان بعضهم إلا أنه مازال ألف نازح في حاجة للمساعدة في تلبية احتياجاتهم الغذائية الأساسية(%).

اما أرمينيا فانها بلد صغير غير ساحلي يقع في جنوب منطقة القوقاز وقد عانت من أزمة اقتصادية بعد حصولها على الاستقلال عام وازدادت سوء بعد حدوث زلزال عنيف واندلاع النزاع على إقليم ناغورني كاراباخ وفرار نحو ألف لاجئ من أذربيجان إليها عام ، وبدأت منذ عام تبنيها لاقتصاد السوق الذي أنعش اقتصادها إلا أنها مازالت تعتمد على المساعدات الدولية والتحويلات من الخارج لحوالي بالمائة من سكانها الذين هاجرو بعد الاستقلال( ).

.– الدعم الذي تتلقاه إسرائيل من الولايات المتحدة والغرب:

تدرك الولايات المتحدة جيدا أن سقوط الشيوعية وانهيار الاتحاد السوفيتي عام وما أصاب روسيا بعد ذلك من ضعف لا يعني زوال الخطر الذي يهدد الغرب من هذا الاتجاه نهائيا، وكانت الاحتمالات قوية من عودة روسيا وما يعزز هذا ليس فقط خبرات التاريخ حول ضعف روسيا والذي لم يدم طويلا، بل أصبح الواقع يثبت ذلك( ).

وأثارت سياسات إثبات الوجود الروسية الجديدة القائمة على عدد غير قليل ولكن حاسم من أدوات القوة مشكلات كبيرة للغرب في العديد من القضايا، ومقارنة بالماضي القريب تميل روسيا إلى أن تكون شريكا أقل تعاونا مع الغرب معارضة مجموعة واسعة من الأولويات الأوربية، بمعنى تحرر روسيا الحقيقي من الوهم الأمريكي( ).

وتتلخص التهديدات الأمنية التي تواجهها روسيا في منطقة القوقاز من الوجود العسكري الأمريكي والأوربي الذي أخذ يزحف إليها بالتدريج واحتمالات تدعيمية بشبكة

( ) **المصدر نفسه.**

( ) **خالد حسن، مصدر سابق.**

( ) **لواء ركن حسام سويلم، الإطار الاستراتيجية للمناورات البحرية بين تركيا وإسرائيل وأمريكا، جريدة البيان العدد في فبراير .**

( ) **جن أبن هين، المؤسسات والعلاقات الأمنية الأورو–أطلسية، التسلح ونزع الصلاح والأمن الدولي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، .**

صواريخ في إطار مشروع الدرع الصاروخي، ومطالبة أذربيجان وجورجيا وأرمينيا للانضمام إلى حلف شمال الأطلسي وخروج القوات الروسية من منطقة القوقاز وتزايد قوات حلف الناتو العسكرية في المنطقة والسيطرة على خطوط نقل الطاقة وصياغة نظام قانوني لبحر قزوين والمعاهدات السياسية والأمنية التي تعقدها دول المنطقة مثل (معاهدة غوام) التي تضعف دول الكومنولث المستقلة، ولمواجهة هذه التحديات تقدمت روسيا بمشروع أمني يضم جورجيا وأرمينيا وأذربيجان وروسيا وهو ما يعرف بنظام ((++) حيث يهدف هذا المشروع إلى اعتزام بقاء روسيا في منطقة القوقاز والحيلولة دون وجود قوى خارجية في منطقة النفوذ الروسي القديم( ).

وهناك مؤشرات عدة تؤكد أن الحرب الباردة هي مواجهة شبه أبدية بين الولايات المتحدة والعالم وتحديدا مع روسيا، كما هناك مؤشرات تؤكد عدم اعتزام روسيا اعتماد سبيل المواجهة المباشرة مع الولايات المتحدة، وفي الغالب لدى البلدين مصالح تدعوا إلى التعاون معا لإنجازها مثل العمل على محاصرة الإرهاب ومنع انتشار الأسلحة النووية، لذلك كلى البلدين يترك هامش مناورة للآخر حتى في ظل احتدام النقاش العلني بينهما فان قنوات الاتصال تظل مفتوحة( ).

وبذات الوقت لن تغامر الولايات المتحدة على مواجهة مباشرة مع روسيا الساعية إلى إعادة التوجه الاستراتيجي الكثيف نحو منطقة القوقاز وبحر قزوين ومحاولة لعب دورا أكبر في هذه المنطقة الغنية الصاعدة والتي هي أصلا واحة خلفية لها على حين تسعى الولايات المتحدة إلى شل قدراتها ومحاصرتها عسكريا وشلها اقتصاديا بمحاولة إيجاد طريق بديل لنقل نقط بحر قزوين( ).

وتعتبر الولايات المتحدة منطقة القوقاز وخاصة جورجيا نقطة أساسية في مخطط تشديد الحصار على روسيا وتحديدا السيطرة على البوابة القوقازية التي تمثل المنفذ الروسي الرئيسي على العالم، كما تسعى الولايات المتحدة إلى تمهيد المسرح الجورجي لاستضافة القوات الأمريكية، ويفكر الأمريكيين من إقامة قواعد جوية في جورجيا وأيضا قاعدة بحرية رئيسية في ساحل جورجيا المطل على البحر الأسود وأيضا تهيئة الأوضاع التي ترتبط بتوازنات إقليمية في منطقة القوقاز إلى منطقة الشرق الأوسط الفائقة الأهمية للأمن الإسرائيلي، مع احتمالات تدهور الأوضاع مع تركيا أو الضغط على تركيا كي تتعاون إلى أقصى حد ممكن مع الولايات المتحدة وإسرائيل لمواجهة روسيا في كثير من الملفات، والسعي

( ) لواء متقاعد، حسام سويلم، القواعد العسكرية في آسيا الوسطى، السياسة الدولية، العدد .

( ) المصدر نفسه، ص .

( ) . نورهان الشيخ، روسيا والاتحاد الأوربي.. صراع الطاقة والمكانة. السياسية الدولية، عدد .. . .

الأمريكي لتشديد القبضة على منطقة القوقاز بما يترتب عليه تعزيز القدرة في السيطرة على خطوط أنابيب نقل الطاقة القادمة من بحر قزوين( ).

وتشير توقعات المحليين أن جورجيا يمكن أن تكون (إسرائيل القوقاز) والقيام (بدور شرطي البحر الأسود) في خدمة الولايات المتحدة وإسرائيل، ولتأكيد مفهوم تسعى الولايات المتحدة على ترسيخه المتمثل بالتأكيد على الأمن الجورجي باعتباره ضروريا لمفهوم الأمن الأمريكي( )، والذي هو جزء من الاستراتيجية الأمريكية لإحكام السيطرة على منطقة أوراسيا الحيوية والضرورية كي تتمكن من التحكم الكامل بمفاصل القرار الدولي( ).

وخلال الحرب الروسية الجورجية الأخيرة كانت إسرائيل تمثل اللاعب الرئيسي في الساحة الجورجية وتقدم الولايات المتحدة التمويل والعتاد والمساعدات إلى جورجيا عبر إسرائيل لأن ذلك يتيح للولايات المتحدة الزعم بحزم أمام روسيا بأنها لم تقدم أي مساعدات وليس لها أي وجود في جورجيا وأنها ما تزال ملتزمة باتفاقياتها وتفاهماتها الثنائية مع روسيا( ).

والحقيقة أن الخطوات التي خطتها روسيا بعد عام واستعادة مكانتها الدولية كدولة عظمى قد فاجأت به الولايات المتحدة، حيث عمدت روسيا إلى استعادة العلاقات مع سوريا والجزائر وكوريا الشمالية وكوبا وإقامة علاقات وطيدة مع إيران وفنزويلا وإرساء علاقات استراتيجية مع الصين ومشاركتها في منظمة (شنغهاي) التي تضم أيضا الهند والجمهوريات المستقلة من الاتحاد السوفيتي مثل أوزبكستان وقرغيزستان وكازاخستان وطاجكستان وإيران وبدأت هذه المنظمة تشكل قطبا اقتصاديا وسياسيا آسيويا يعمل على تطهير آسيا الوسطى من النفوذ الأمريكي وخلق شبكة من علاقات التعاون الاقتصادي والنفطي والتكنولوجي بين أعضائه، وبالتأكيد أدت هذه السياسات الروسية إلى إزعاج الولايات المتحدة والتي هي أصلا أصبحت مثقلة بأزمات العراق وأفغانستان وعجزها عن تطويع إيران وسوريا وكوريا الشمالية وفنزويلا والمقاومة في لبنان وفلسطين وأصبحت غير قادرة على إصدار قرار في مجلس الأمن لمحاصرة هذه الدول ومعاقبتها لرفضها الإملاءات الأمريكية بفعل الاعتراض الروسي والصيني، لذلك يمكن عد التوترات التي تحصل في القوقاز تأتي بقرار أمريكي في إطار الصراع الدائر حول الثروة النفطية في القوقاز وبحر قزوين ومحاولة الولايات المتحدة إثارة المشاكل والاضطرابات بوجه روسيا من أجل ثنيها عن انتهاج سياسات تضر بالسياسة

( ) مستقبل التعاون الجورجي–لأمريكي–الإسرائيلي، شبكة المعلومات الدولية:http://www.jeninnet.net/up/mobile

( ) المصدر نفسه.

( ) حسن مروان، خلافات الأزمة الروسية–الجورجية تؤثر على عودة الحرب الباردة، جريدة الأخبار، / / .

( ) ماريا أباكوفا، قلق حرب القوقاز؟، جريدة الوطن، / / .

الأمريكية إن كان ذلك في الملف النووي الإيراني أو الملف النووي الكوري الشمالي وغيرها من الملفات الساخنة( ).

وعليه أن وجود إسرائيل في القوقاز جنبا إلى جنب مع الولايات المتحدة يهدف إلى منع روسيا من الظهور مجددا على المسرح العالمي بوصفها دولة كبرى( ). إذ أثير التساؤل بعد انتهاء الحرب الباردة حول مستقبل الدور الإسرائيلي في الاستراتيجية الأمريكية في هذه المنطقة، ولكن النخبة الإسرائيلية استطاعت أن تقنع الولايات المتحدة بأن الأصولية الإسلامية والخطر الإيراني والانتشار النووي هي تهديدات مشتركة وعليهما أن ينسقا معا لمواجهتها في آسيا الوسطى والقوقاز، وأيضا هناك ترابط آخر، فقد كتبت صحيفة (جيروزاليم بوست) قبل بضعة سنوات بأن الولايات المتحدة تنوي استخدام أراضي جورجيا لضرب إيران ولاشك أن هذا مجرد احتمال ولكنه واقعي تماما، وإذ كان لا يزال هناك ارتياب من رغبة إسرائيل في ضرب إيران ولكن ليس من أراضيها( ).

وأصبح الهجوم على المنشآت النووية الإيرانية حاضرا في أي تعاطي مع البرنامج النووي الإيراني ويعد له بإحكام سواء من إسرائيل أو من قبل الولايات المتحدة بعد الحصول على أكبر قدر ممكن من تأييد المجتمع الدولي، ويمكن ملاحظة تصريح قائد القيادة الأمريكية الوسطى بيتراليوس يوم الاثنين // في مقابلة مع قناة CNN الأمريكية أن الولايات المتحدة قد أعدت خطة طوارئ للتعامل مع تداعيات توجيه ضربة للبرنامج النووي الإيراني( ).

.- الوجود اليهودي والهجرة:

ترجع علاقة روسيا بفلسطين إلى عهد القياصرة التي اتخذت طابع الاهتمام بالأماكن المقدسة، وتدل الإحصائيات في عهد الاتحاد السوفيتي أن يهود روسيا كانوا يمثلون أكبر كتلة متهودة آنذاك ليس على صعيد أوربا فحسب بل على صعيد العالم بأسره، وكان للاتحاد السوفييتي موقف ضمني يتمثل في مناهضة الهجرة إلى خارج الأراضي السوفييتية إلا في حالات خاصة( )، وقدر عدد اليهود السوفييتيين الذين هاجروا منذ عام ولغاية عام بنحو ( ) ألف يهودي ومثلا كان في جورجيا عام أكثر من ( ) ألف يهودي جورجي يختلفون عرقيا عن يهود المناطق القريبة، ويشكل هؤلاء تربة خصبة

( ) **حسن مروان، مصدر سابق.**

( ) **خالد حسن، مصدر سابق.**

( ) **ماريا أباكوفا، مصدر سابق.**

( ) **نقلا عن قناة الجزيرة الفضائية** // .

( ) **سلافة حجاوي، اليهود السوفييت/دراسة في الواقع الاجتماعي، جامعة بغداد،** / .

للتجارب مع الأطروحات الصهيونية التي بدأت بتقديمها المنظمات الصهيونية العالمية منذ عام ، وهؤلاء اليهود الجورجيون أول من قام بتظاهرة عامة رافعين لافتات تطالب بالهجرة إلى إسرائيل( ).

وتؤكد الوقائع أن إسرائيل اعتمدت منذ نشأتها على تعاونها مع الجاليات اليهودية والأوساط الصهيونية العالمية والاستفادة من أزمات الدول ومصاعبها بتأجيج الصراع بين الدول المتحاربة وصولا إلى التدخل في شؤونها الداخلية بهدف تحقيق أهدافها ( ). وقد استغلت إسرائيل تفكك الاتحاد السوفيتي واستطاعت من تهجير أكثر من مليون يهودي إلى إسرائيل ومناطق أخرى، وتعزيز نفوذها في المؤسسات الجديدة في الدول المستقلة حديثا( ).

وقد ظهر في إسرائيل اجتهادان رئيسيان بشأن الهجرة، الرأي القائل بضرورة تحشيد أكبر عدد من اليهود في إسرائيل بهدف تحقيق التفوق الديموغرافي اليهودي على العرب وتسريع عملية الاستيطان، ويذهب الرأي الثاني إلى عكس ذلك والإبقاء على التوزيع اليهودي في العالم في مناطق معينة (كوطن قومي ثاني) لا يقل أهمية عن أهمية إسرائيل وذلك لأسباب أمنية من جهة ولأسباب استراتيجية اقتصادية من جهة أخرى( ).

وبطبيعة الحال هناك عدة معايير تحكم هذه الموضوع وفقا لسماته في استيعاب جزءا كبيرا من الشعب اليهودي في الشتات إذا ما نشأت حاجة إلى ذلك، مع وجود بدائل مختلفة عرفت على شكل مشروع افتراضي حتى عام لنمو سكاني يصل إلى نحو . ملايين نسمة بوجود ما يسمى فحص سياسة البدائل ولاستيعاب هجرة يهودية واسعة مع ما متوفر من مورد وأرض في كل واحدة من مناطق التخطيط( ).

وعند الدخول في البيانات الإحصائية نجد أن عدد سكان جورجيا حتى عام هو . مليون نسمة وعدد اليهود فيها هو (() ستة آلاف يهودي، وعدد سكان أذربيجان بحدود . مليون نسمة وعدد اليهود فيها أيضا((() ستة آلاف يهودي( ). وعموما تسعى إسرائيل إلى تأكيد هدف استراتيجيها الأصيل المتمثل بالحفاظ على بعض الوجود اليهودي في

( ) المصدر نفسه، ص .

( ) خالد حسن، مصدر سابق.

( ) حسن أبو النمل، الهجرة والهجرة المضادة من إسرائيل، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد / .

( ) سلافة حجاوي، مصدر سابق،ص .

( ) إسرائيل /خطتها التفصيلية لمستقبل الدولة والمجتمع، تقديم سلمان أبو ستة ، المجلد الثالث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، .

( ) تعداد السكان اليهود في العالم لسنة ، ترجمة هدى النعيمي، كلية العلوم السياسية/جامعة بغداد، وحدة الدراسات الفلسطينية، العدد (() ، جدول رقم ( ).

القوقاز كمركز اتصال وتأثير خدمة لمصالحها في هذه المنطقة، وخاصة جورجيا كونها قريبة من جمهوريات روسيا الجنوبية وجمهوريات آسيا الوسطى ولأن إسرائيل تعتبر نفسها في حالة حرب مع العالم الإسلامي ككل، والحرص أن تكون لها عيون وقواعد ضد العالم الإسلامي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن جورجيا أيضا قريبة من إيران إلى حد كبير( ).

.- حال الواقع العربي والدور المفقود:

شهد الوطن العربي خلال القرن العشرين وما تلاه عدة أزمات تاريخية عميقة دفعته إلى التحلل وفي الوقت نفسه دفعت العناصر المكونة له إلى البحث عن اطر جديدة تلتئم عبرها، وأصبح لسان حال العرب يكتفي بالمبررات لإبراء الذمة بعد كل عدوان ومصيبة انتظارا لمصائب أخرى من قبل الطامعين به ومن أعدائه وبالأخص العدو الصهيوني والولايات المتحدة( ).

وعجلت أحداث أيلول من تمكين المشروع الأمريكي من السيطرة على منابع النفط وإعادة تشكيل المنطقة العربية على أسس طائفية واثنية لتكون حدود آمنة لإسرائيل، فضلا عن تصفية قضية فلسطين وفق شروط إسرائيل بإقامة كيان فلسطيني هزيل بلا سيادة ومجرد من السلاح( ).

وحال العرب في مطلع القرن الواحد والعشرين ولاسيما بعد احتلال العراق عام يمثل هزيمة وقنوط أمام التحديات، وكشف عن نقاط الضعف في مواقع ومراكز النظم العربية في علاقاتها مع شعوبها، فضلا عن اتساع مجال الأهداف الاستراتيجية الأمريكية بصورة تجعل هذه الأهداف قادرة على ابتلاع هذه النظم أيضا.

وإزاء هذا الواقع فان الدول العربية لم تنجح في تطوير علاقاتها مع دول القوقاز توازي ما قامت به إسرائيل التي سبقتهم في تطوير العلاقة على مستوى استراتيجي واستغلالها الظروف وأن يكون لها كلمة في أي دور يمكن أن يكون لهذه الدول في المعادلة العسكرية في الشرق الأوسط( ). خاصة وأن دول القوقاز قد نالت استقلالها نتيجة انهيار الاتحاد السوفيتي وليس ثمرة نضال من أجل الاستقلال، وعاشت مدة من الزمن مفتوحة الاحتمالات مع استبعاد الردة إلى الماضي تقودها إلى ذلك المصالح والمخاوف معا، وتتوضح الرؤية أكثر بعد أن نركز على قول المؤرخ السياسي محمد حسنين هيكل (بأن النظام الدولي الجديد ساهم في

( ) **جورجيا أو (إسرائيل القوقاز)، ندوة نقاشية على قناة العالم الفضائية . / / .**

( ) **عبد الله التركماني، مقاربة حول أزمة المشروع القومي العربي وآفاقه المستقبلية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد / .**

( ) **عصام نعمان، مواجهة الهجوم الأمريكي الصهيوني في سياق مشروع نهضوي عربي، مجلة المستقبل العربي، العدد / .**

( ) **عادل سيد أحمد، أنابيب الطاقة "الجغرافية تقود السياسة"، مجلة السياسة الدولية، العدد - .**

تهميش الموقف العربي وهذا انعكس على دول منطقة القوقاز وآسيا الوسطى التي كانت تتطلع إلى دعم عربي على المستوى الاقتصادي والثقافي وإن كان هناك تحرك من السعودية ومصر فأنه يأتي متوافقا مع السياسة الأمريكية)، عندها تولد شعور قوي لدى هذه الدول بأن الدول العربية والإسلامية تهمل مطالبيها بالتنمية، رغم المناشدات الكثيرة الموجهة إلى الدول العربية لتقديم المساعدة ولكنها وأن كان هناك تحرك فأنه لا يرتقي إلى مستوى تقديم نموذج أكثر جاذبية لدول القوقاز من إسرائيل( ).

جورجيا:

ترتبط جورجيا بعلاقات جوار إقليمي مع روسيا وأذربيجان وأرمينيا وتركيا إضافة إلى ساحلها على البحر الأسود والذي يمثل إطلالة جورجيا على العالم، ويوجد فيها العديد من الحركات القومية الانفصالية، ففي أوستيا وأبخازيا توجد حركات انفصالية نجحت في الحصول على الحكم الذاتي، وبعد الحرب الجورجية الروسية مطلع آب حصلتا على اعتراف روسيا بحقهما في الاستقلال، فضلا عن ذلك توجد أربع حركات انفصالية أخرى في جنوب جورجيا وهي –

-- الحركة الانفصالية الأرمينية وتعمل في مناطق تواجد السكان الجورجيين من أصول أرمينية والموجودين في مناطق الحدود الجورجية–الأرمينية.

.– الحركة الانفصالية الأذرية وتعمل في مناطق السكان الجورجيين ذوي الأصول الأذربيجانية والموجودين في مناطق الحدود الأذربيجانية.

– الحركة الانفصالية التركية وتعمل في منطقة أوجاريا المأهولة بالسكان الجورجيين والأتراك وبرغم اعتراف جورجيا على حصولها على حق الحكم الذاتي فأنها تسعى للحصول على حق الاستقلال من خلال الدعم التركي والروسي.

– الحركة الانفصالية الإغريقية وتوجد في المنطقة الوسطى الجنوبية حيث يوجد تجمع سكاني كبير من الجورجيين ذوي الأصول اليونانية وهم يطالبون بالحكم الذاتي ومن المتوقع أن تتحول مطالبيهم باتجاه حق الاستقلال.

وعند تحليل هذه المعطيات مع الكراهية المتأصلة والتاريخية ضد روسيا يمكن أن نجد –

-- تزايد النزعة القومية ضد روسيا.

.– عدم القدرة على رؤية سياسية واضحة سوى العداء لروسيا والولاء للولايات المتحدة وإسرائيل.

( ) **مجموعة باحثين، الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، نشرة الدراسات الدولية، دار الجماهير للصحافة، العدد الثاني، آذار .**

- اعتماد جورجيا الرئيسي على عائدات خط أنابيب نفط باكو–جيهان.
- عدم استطاعة جورجيا بمفردها استخدام القوة ضد الحركات الانفصالية فيها بفعل غضب روسيا وأرمينيا وأذربيجان وتركيا والاتحاد الأوربي( ).

لكن ولأن جورجيا تقع في النقطة الفاصلة/الرابطة بين آسيا وأوربا فان لها موقعا جيوسياسيا مهما للروس وللأتراك والإيرانيين وأيضا للغرب، فكيف إذا أصبحت الجسر الرابط لتدفق نفط وغاز القوقاز وآسيا الوسطى إلى المياه الدولية الحرة من سواحل البحر الأسود؟.

وفي واقع الحال تكمن أهمية جورجيا فضلا عن موقعها الاستراتيجي كذلك بموارد بحر قزوين من النفط والغاز باعتباره بحرا مغلقا لا يتصل بمياه مفتوحة، فحتى يتم نقل نفط قزوين إلى الأسواق الدولية لابد من نقله عبر الأنابيب لمسافات بعيدة جدا تتخطى حدود الدول لتصل إلى مستهلكيها، وأصبح الصراع على فرض الطرق لخطوط الأنابيب ملمحا رئيسيا لصراع القوى والإرادات الإقليمية والدولية في القوقاز، حيث تتضارب الأرقام المتعلقة بحجم الاحتياطي الموجود من النفط والغاز في بحر قزوين نظرا لاختلاف المصادر، ومثلا تشير تقديرات الوكالة الأمريكية للمعلومات الخاصة بالطاقة إلى أن حجم الاحتياطات المثبتة من النفط بالمنطقة هي ما بين مليار برميل، مع توقع أن تنتج دولة ما بين .

. ملايين برميل يوميا، أما احتياطات الغاز فأنها تفوق الاحتياطيات النفطية اذ تقدر بنحو . تريليون قدم مكعب، لذلك بدأ التوتر يتصاعد بسبب هذه الثروة مع زحف الغرب التدريجي عبر جورجيا وأذربيجان ومن خلال الاستثمارات النفطية لخط باكو–تبليسي–جيهان، الذي افتتح عام واعتبر ذلك نقطة مهمة مضافة للغرب على حساب روسيا وإيران كونه أول خط أنابيب ينقل نفط بحر قزوين بعيدا عن الأراضي الروسية بطريقة التفافية وصرف الأنظار عن مروره عبر إيران–وبسبب هذه الأهمية لجورجيا ولما تمثله من تنوع عرقي واثني مع وجود جالية يهودية فاعلة فيها، حاولت إسرائيل الدخول لملئ الفراغ الاستراتيجية الذي خلفه انهيار الاتحاد السوفيتي من خلال إقامة علاقات متينة مع جمهوريات القوقاز عبر بوابة الأسلحة والتجهيزات العسكرية، فمنذ استقلال جورجيا عام ربطتها علاقات وثيقة بإسرائيل لسببين –

-- وجود جالية كبيرة من المهاجرين اليهود في إسرائيل من أصل جورجي على صلة دائمة بأقاربهم في جورجيا. ويمكن الإشارة إلى أن جدة رئيس وزراء إسرائيل السابق أريل شارون مدفونة في العاصمة الجورجية تبليسي ، والوزيران الجورجيان–الدفاع دافيد كيزيراشفيلي، والدولة لشؤون إعادة التكامل تيمور

( ) الثورات الملونة: إدارة أوباما تبدأ ببيع ما اشترته إدارة بوش، شبكة المعلومات الدولية:http://www.travel4syria.com/forum

ياكوياشفيلي كانا يعشيان في إسرائيل( )، وهذه الحقيقة توضح تواجد الخبراء العسكريين الإسرائيليين بأعداد كبيرة في جورجيا.

.- توطيد التعاون العسكري بين البلدين الذي تحول عام إلى حلف عسكري، و بلغ حجم التصدير العسكري الاسرائيلي نحو مليون دولار سنويا( ).

وكان من بين أهم هذه الصفقات بيع طائرات بدور طيار "هرمس " التي تستخدم لجمع المعلومات الاستخبارية ويمكنها أن تبقى في الجو أكثر من " ساعة على نحو متواصل بسرعة كم في الساعة وحمل أجهزة بوزن كغم للتصوير والاتصال وتحديد الأهداف بالليزر، وخطورة هذه الطائرة التي أسقطت القوات الروسية معظمها كشفه "موقع تي بي آر نيوز" الأمريكي من خلال تأكيده على (أن العلاقات الجورجية الأمريكية تنشط باتجاه استخدام أراضي الدولة القوقازية لضرب أهداف نووية إيرانية وأن وزارة الدفاع الإسرائيلية زودت جورجيا بها لاستخدامها تحت قيادة الاستخبارات الإسرائيلية بهدف التجسس على روسيا وإيران)( ). بالإضافة إلى ذلك زودت إسرائيل جورجيا بمنظومات مضادة للطائرات ومنظومات اتصال وقذائف وصواريخ من أنواع مختلفة من بينها صواريخ "لينكس" وأجهزة اتصال للدبابات وصواريخ مضادة للدبابات، وكذلك إقامة تدريبات عسكرية مشتركة ومناورات مستمرة، ووحدات قتالية على أعلى مستوى عسكري، وإنشاء جهاز مخابرات عسكرية كجهاز (أمان) الإسرائيلي، ووفقا لصحيفة (بديعوت أحرنوت) الإسرائيلية فقد أشارت إلى أن وزراء سابقين وجنرالات متقاعدين إسرائيليين حققوا ثراء فاحش(بعد أن اكتشفوا حجم المكاسب من تصدير السلاح لجورجيا، وحلو محل المهاجرين اليهود من جورجيا وأصبحوا ممثلين مقيمين لعدد من شركات السلاح الإسرائيلي، ومن بين هؤلاء الوزراء (روني ميلو) الذي كان وزيرا للشرطة في إسرائيل وأخوه (شلومو) الذي يشغل مدير عام الصناعات العسكرية وكذلك عدد من الجنرالات الإسرائيليين مثل (جاك هيرش) الذي تولى قيادة فرقة عسكرية في الحرب الإسرائيلية الثانية في لبنان صيف وقام بتدريب الجيش الجورجي حول كيفية إعادة تسليح الجيش وإعطاء دورات مختلفة في مجال الاستخبارات القتالية والقتال في المناطق

( ) عبد الله تركماني، الأهمية الاستراتيجية لمنطقة القوقاز، صحيفة الوقت، العدد ( ) سبتمبر .

( ) المصدر نفسه.

( ) ينظر بذلك كل من:

احمد الغريب، مستقبل واعد للدور الروسي بمنطقة الشرق الأوسط في ضوء المتغيرات الدولية والإقليمية، جريدة الرؤية، يونيو .

إحسان مرتضى، أبعاد التورط الإسرائيلي في حرب القوقاز، مجلة الجيش اللبناني، العدد ./ / .

محمد العبد الله، العدوان الجورجي الوحشي على أوستيا، جريدة العروبة، / / / .

المبنية، وأفاد أحد التقارير الإسرائيلية أن إسرائيل قد أوفدت إلى جورجيا قرابة ألف خبير عسكري ساهموا في تدريب الجيش الجورجي( ).

وبطبيعة الحال هذه العلاقة العسكرية لها صلة بالاستراتيجية الأمريكية في منطقة القوقاز، حيث تحصل إسرائيل على تفويض أمريكي للقيام بالأدوار التي ترى الإدارة الأمريكية أن لها ميزة نسبية فيها مقارنة بالولايات المتحدة( ).

الدوافع الإسرائيلية ومسار العلاقة:

هناك أربعة لاعبين رئيسيين على نفط وغاز منطقة القوقاز هم روسيا والولايات المتحدة وأوربا والصين ولاعبان على مستوى إقليمي هما إيران وتركيا ثم تأتي الدول النفطية ذاتها والدول المحيطة بها كمعابر في الدرجة الثالثة، ويدور صراع بين كل هؤلاء اللاعبين من خلال الشركات وخرائط الأنابيب، وهي خرائط ستؤدي غلبة أي منها إلى تحديد القوة الغالبة التي سترسي طبيعة النظام الدولي بعد نحو عقدين أو أكثر، وأسفر الصراع هذا إلى تعرض الولايات المتحدة لسلسلة من الانتكاسات لعدم تمكنها من تقرير خرائط الأنابيب القزوينية حسب رغبتها بسبب تمكن روسيا من استعادة ولاء بعض الدول القزوينية لها، ونجحت روسيا خلافا للولايات المتحدة في الحصول من (تركمانستان) على استغلال كامل إنتاجها للغاز لمصلحة شركة (غازيروم) الروسية، خاصة وأن روسيا السوفييتية لم تستخدم مواردها الطبيعية كالغاز والنفط لخدمة مصالحها القومية، فهذه الثروات كان ينظر إليها على أنها وسيلة لتغطية احتياجاتها من العملة الصعبة، غير أن وصول قوى عظمى إلى مجالها التقليدي، جعل روسيا أكثر وعيا وإحساسا للدور الجغراسياسي الذي يمكن للطاقة أن تلعبه( ).

وبحكم الطبيعة فقد تجمعت الثروة النفطية في القسم الجنوبي من بحر قزوين بعيدا جدا عن الشاطئ الروسي (ثروة روسيا من النفط والغاز متجمعة في سيبيريا في أقصى الشمال) وبحكم قوة روسيا العسكرية فأنها تحاول أن تملي سير خط أنابيب النفط والتي تلعب بها عوامل في رسم خرائطها مثل –

-- التوجه الروسي لإعادة احتواء (الخارج القريب) بمعنى ربط الدول التي استقلت عنها بالأمن الاستراتيجي الروسي سياسيا وعسكريا واقتصاديا ونفطيا أيضا.

.– التنوع الاثني في المنطقة وتراكم ثقافة عدائية بينهما.

– الصراعات الإقليمية التي قد تفيد روسيا منها بشكل غير مباشر، كالصراع بين أذربيجان وأرمينيا وبين إيران وأذربيجان بينها وبين جورجيا، وبعد اكتشاف ثروة ضخمة من النفط فأنه

( ) **خالد سعيد، مصدر سابق.**

( ) **عبد الله تركماني، الأهمية الاستراتيجية لمنطقة القوقاز، مصدر سابق.**

( ) **عادل بدر سليمان، حرب القوقاز وجيوبوليتيك الطاقة، جريدة الوطن، //** .

كاف وحده لإثارة صراعات حول عائدات هذه الثروة وكيفية استثمارها وخاصة في أذربيجان التي تملك مخزونا من النفط يقدر بحوالي مليار برميل، ويعتقد خبراء النفط بإمكانية اكتشاف المزيد من المخزون النفطي، وشعور أذربيجان أنها واقعة تحت ضغط كماشة تفاهم روسي من الشمال وإيراني من الجنوب، وتتهم روسيا أذربيجان بأنها توفر للمقاتلين الشيشانيين الدعم والملجأ وتتهمها إيران بأنها وراء التحريض على الانفصال اللغوي–القومي( ).

وهناك تصميم روسي من عدم التخلي عن سيطرتها على منطقة بحر قزوين والمقصود هنا لم تكن جورجيا ذاتها التي بالكاد تحتوي على احتياطات محدودة من النفط والغاز، بل خطوط النفط التي تمر فوق أراضيها والتي بنتها شركات البترول الأمريكية والإسرائيلية كشركة (لابيدوف) الإسرائيلية لنقل النفط والغاز إلى أسواق الغرب، وهناك قلق من الشركات الغربية من احتمال فقدان الثقة بمدى قدرة جورجيا على ضمان أمن أنابيب باكو–تبليسي–جيهان خاصة بعد أن تمكن حزب العمال الكردستاني PKK من تفجير جزء من هذا الأنبوب على الجانب التركي( ).

ولا تتوانى إسرائيل من توظيف مختلف الآليات السياسية والاقتصادية والعسكرية خدمة لمصالحها الاستراتيجية، إذ أن الاهتمام الإسرائيلي بجورجيا هدفه استقطاب هذه الدولة للضغط على روسيا وللحصول على الكثير من المكاسب الأخرى، وحسب ما أوردته صحيفة (هارتس) الإسرائيلية فان إسرائيل سعت إلى القيام بلعب دور في جورجيا لأن وضع هذه الدولة بدأ نموذجيا من الناحية الشكلية، كون النظام السياسي فيها يؤيد الغرب وجغرافيتها تطل على مفترق طرق لمعابر النفط، وهناك وزراء كبار في حكومتها تعلموا ودرسوا في إسرائيل وتملك جيشا متعطشا لتعلم الفنون العسكرية الإسرائيلية( ). ولأن إسرائيل تهتم بأن تمر خطط نقل الطاقة من المنطقة إلى تركيا على خلاف رغبة موسكو، والسبب هو الاحتمال الذي تدرسه إسرائيل مع دول منطقة القوقاز وتركيا لمد الأنبوب إلى إسرائيل لتنقله حاملات النفط إلى الشرق الأقصى، حيث تعلم إسرائيل مدى الرفض الروسي لتلك الخطة رغم الضغط الإسرائيلي على روسيا لقبولها إلا أن محاولاتها باءت بالفشل( ).

( ) **صراع النفط والسياسة في القوقاز، شبكة المعلومات الدولية:http://www.alarabnews.com/alshaab**

( ) **عادل بدر سليمان، مصدر سابق.**

( ) **التورط الإسرائيلي في حرب القوقاز، شبكة المعلومات الدولية:http://www.amman-dj.com/vb/sitemap**

( ) **صراع إسرائيلي روسي خطير في الحرب الجورجية الروسية، شبكة المعلومات الدولية:-http://www.alalam ir/newspage**

كذلك /http://wahajr.com/hajrvb/

وفيما يتعلق بإيران فقد ذكر تقرير للمحلل الأمريكي بريان هارتيغ على موقع (تي بي آر نيوز) الأمريكي مطلع آب (واشنطن وإسرائيل خططتا لضرب أهداف إيرانية من داخل الأراضي الجورجية، وأنه إلى جانب كميات الأسلحة الحديثة التي زودت بها إسرائيل جورجيا، زرعت إسرائيل أجهزة تجسس حديثة في أراضي جورجيا ووجهتها نحو إيران... .. روسيا كانت على علم بالمخطط وقامت برصد مواقع التجسس الإسرائيلية في جورجيا ودمرتها جميعها أثناء الحرب). وكانت وزارة الدفاع الروسية قد ذكرت أثناء الحرب مع جورجيا في آب ... أن المقاتلات الروسية دمرت مطارين جورجيين كانا معدين لهجمات على جهات خارجية، كما ذكرت صحيفة (ديلي تليغراف) البريطانية في) أيلول ... أن روسيا وإيران كانتا ترصدان تحركات إسرائيل في جورجيا منذ أربعة أعوام مضت، وأن الاستخبارات الإيرانية نما إلى علمها أن إسرائيل اختارت جورجيا لشن الهجمات الجوية من أراضيها على إيران نظرا لقربها من المواقع النووية الإيرانيين في الشمال، لأن إسرائيل والولايات المتحدة تخشيان شن الهجمات من الأراضي العراقية وكي توجه إيران هجماتها نحو الشمال بعيدا عن منطقة الخليج لعربي وبالتالي تتجر إيران للقتال في القوقاز، وبهذا الصدد قال المندوب الدائم لروسيا في حلف شمال الأطلسي ديمتري راعوزين للصحفيين يوم) سبتمبر (أن جورجيا تعتبر قاعدة مثلى لضرب إيران وأن روسيا لديها معلومات تشير إلى أن البنية التحتية العسكرية الجورجية الذي يجري إعادة بناءها الآن قد تستخدم للدعم اللوجستي لاجتياح إيران في المستقبل) ويبدو أن إسرائيل لن تتوقف عن توفير كل متطلبات القيام بمهمة ضرب إيران بعد أن أصبحت العدو الاول وأخذ البرنامج النووي الإيراني يشكل خطرا وجوديا لإسرائيل يستلزم استئصاله( ).

وقد أظهرت الأزمة في القوقاز بشأن العلاقات المتوترة بين جورجيا وروسيا، أن هذا النزاع ليس بعيدا عن المنطقة العربية والمصالح الاستراتيجية، ليس لأن الدول العربية لها علاقة قوية مع أحد أطراف النزاع وذات طابع مميز، ولكن لأن العدو الإسرائيلي له علاقة قوية بطرفي النزاع، بل أن من أهم علاقات إسرائيل بالدول التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي علاقتها مع جورجيا التي بدأت بالاقتراب من حلف شمال الأطلسي، وشعور القيادة الروسية بأن الأمور تسير نحو محاصرتها بواسطة حلف شمال الأطلسي في جورجيا أوكرانيا، وأن الأخطار أصبحت تطرق ابواب روسيا عن طريق نشر منظومة الدفاع الصاروخي قرب حددها في تشيكيا وبولندا، وأصبحت جورجيا تستهين من روسيا لدرجة إقدامها على الاعتداء على القوات الروسية المشاركة في منظمة حفظ السلام في أوستيا الجنوبية، لذلك تحاول إسرائيل أن

( ) محمد السعيد إدريس، إسرائيل وروسيا والخيار الجورجي، جريدة الأهرام المصرية، سبتمبر .

تكون بيدها أوراق ضغط قوية للعمل في جميع الاتجاهات، خاصة وأن إسرائيل تدرك جيدا مدى حاجتها إلى روسيا فيما يتعلق بالتوازن العسكري الإقليمي وبالأخص الإيراني والصراع العربي–الإسرائيلي، وبالنسبة إلى إيران فان إسرائيل تأمل أن تدعم قرارات فرض عقوبات شديدة على إيران، بحيث تضطر إلى التخلي عن برنامجها النووي ولأن روسيا لها دور مهم في هذا البرنامج، كما تسعى إسرائيل أن لا تبيع روسيا أسلحة متقدمة إلى دول المنطقة مثل سوريا وإيران والتي تؤثر على التفوق العسكري الإسرائيلي في المنطقة( ). وأصبح هناك تناقض في مواقف المؤسسة العسكرية ووزارة الخارجية الإسرائيلية فيما يتعلق باستمرار الدعم العسكري لجورجيا أو عدمه وتأثير ذلك على منظومة العلاقات الإسرائيلية بدول القوقاز من جهة والعلاقات الإسرائيلية–الروسية من جهة أخرى، و أوصت وزارة الخارجية بتجميد بيع أسلحة لجورجيا بشكل كامل، ونقلت صحيفة (هارتس) الإسرائيلية عن مصدر سياسي إسرائيلي قوله (ينبغي على إسرائيل إبداء حذر وحساسية بالغة... لأن الروس يبيعون أسلحة كثيرة لإيران وسوريا ولا ينبغي توفير الحجة لهم لبيع أسلحة متطورة أكثر... وأن إسرائيل مهتمة بمنع نقل الصواريخ المتطورة المضادة للطائرات ( ).) من روسيا إلى إيران... وفي اليوم الذي نريد فيه منع صفقة مستقبلية مع إيران يجب أن تكون أيدينا نظيفة)، فيما أوردت ذات الصحيفة تصريحات مسؤولين روس قولهم أن تزويد جورجيا بأسلحة هجومية هو خط أحمر بالنسبة لروسيا( ). فيما صرح الجنرال الكسندر سلياختوروف رئيس إدارة الاستخبارات في هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الروسية يوم الخميس الموافق) تشرين الثاني حيث قال (حسب المعطيات التي لدينا مازالت جورجيا تستلم مساعدات عسكرية من دول الناتو وإسرائيل وأوكرانيا كما كان الحال قبل أحداث آب ، فبلدان الناتو وخاصة دول أوربا الشرقية الأعضاء في الحلف الذين تطلق عليهم تسمية (الأطلسيون الجدد) تورد إلى جورجيا في الأساس الأسلحة الخفيفة والتجهيزات العسكرية والولايات المتحدة تدرب القوات الجورجية حسب تكتيك قوات الناتو وإسرائيل تورد طائرات بدون طيار وأن أوكرانيا تورد إلى جورجيا الأسلحة الثقيلة وخاصة الدبابات ووسائل الدفاع الجوي)( ). ولكن رغم تحذيرات كثيرة وعلى أوقات مختلفة تلقتها وزارة الخارجية الإسرائيلية من نظيرتها الروسية بعدم التدخل في الشؤون الجورجية ووقف صفقات السلاح لها، إلا أن إسرائيل دائما ما كانت ترفض هذه

( ) لواء/طلعت أحمد مسلم، العلاقات الإسرائيلية.. وأزمة العلاقات الجورجية، صحيفة العرب القطرية، //□□/ □ .

( ) الرئيس الجورجي غامر في حرب خاسرة... هآرتس: أسلحتنا خرقة حمراء أمام ثور غاضب، ترجمة احمد أبو هدية، جريدة الثورة السورية // ... .

( ) رئيس الاستخبارات العسكرية الروسية: جورجيا تحصل على الأسلحة والمعدات الحربية من دول الناتو وإسرائيل وأوكرانيا، شبكة المعلومات الدولية:http://www.rtarabic.com/news

التحذيرات واشتراطها المسبق على الجانب الروسي بعدم بيع روسيا صواريخ أس المضادة للطائرات لإيران وسوريا أو أي دولة عربية( ).

وفي مطلع يونيو قام وزير خارجية إسرائيل أفيغدور ليبرمان (السوفييتي الأصل) بزيارة رسمية لروسيا، وأكد له الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف خلال استقباله أن الكثير من الأمور في الشرق الأوسط تتوقف على إسرائيل وقد أشاد ليبرمان بالعلاقات المتينة بين روسيا وإسرائيل مؤكدا أن الإسرائيليين يرون في روسيا أحد الشركاء الأساسيين في عملية التسوية في الشرق الأوسط(٥٥). وقال ليبرمان "ندرك دائما أن الاتحاد السوفيتي كان أول دولة اعترفت بدولة إسرائيل عام ". وفي المقابل أكد وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف لنظيره الإسرائيلي أن موسكو لن تبيع أسلحة لدول الشرق الأوسط إذ هددت بزعزعة استقرار المنطقة(٠).

ومن الأهمية بمكان أن لا نختزل التوجه الإسرائيلي إلى جورجيا على المجال العسكري فقط، فتشكيل العقيدة العسكرية للجيش الجورجي ليتوافق مع العقيدة العسكرية لكل من إسرائيل والولايات المتحدة يفوق في أهميته وتأثيره على مبيعات السلاح والتكنولوجيا العسكرية، لأن تحديد العقيدة العسكرية تعني تحديد الأعداء، ويأتي على رأس الأعداء، إيران والأصولية الإسلامية التي تخشى إسرائيل من انتشارها في منطقة القوقاز، وأن محاصرة دور الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز هو الهدف الأول لإسرائيل، والتي تخشى أيضا من انضمام القوقاز وآسيا الوسطى في رفض توجهاتها وسياستها المتبعة في الشرق الأوسط( ).

واستطاعت إسرائيل أن تقنع جورجيا بضرورة الاستفادة من تقدمها في المجال الزراعي، حيث قدمت خبرائها وخبراتها لتطوير هذا القطاع وأرسلت البعثات إلى إسرائيل، كما أسهمت شركات مثل (نتافيم وسول أيزنبرج وآنياف) في تطوير القطاع الزراعي والحيواني في جورجيا ودول القوقاز الأخرى، وفتحت الطريق أمام زيادة معدلات التجارة والاستثمار بين جورجيا وإسرائيل، الأمر الذي أوجد بنية تحتية قوية للعلاقات بين البلدين، وزاد من تسلل إسرائيل إلى دوائر صنع السياسة والقرار في جورجيا بشكل بات يؤثر على مستقبل العلاقات العربية–القوقازية، وأتاح لإسرائيل فرصا هائلة لتسويق مفاهيمها المظللة حول الصراع العربي–الإسرائيلي لدى النخبة الجورجية( ).

( ) خالد سعيد، مصدر سابق.

( ) ليوتيد الكسندروفتش، زيارة ليبرمان لروسيا إنذار لأمريكا والعرب، صحيفة البيان، العدد في يونيو .

( ) محمد السعيد إدريس، مصدر سابق.

( ) عبد العزيز شادي، مصدر سابق.

( ) المصدر نفسه.

كما زاد قلق روسيا مدى التدخل الإسرائيلي والأمريكي في جورجيا الذي قد يؤدي إلى تحول القوقاز مجددا إلى ثغرة تزعزع استقرار حدودها الجنوبية الغربية، من خلال تحريك أقليات تتركز تقليديا في مرتفعات تساعد على توليد الاضطرابات الأمنية التي يمكن أن تستنزف طموحها نحو تجديد أخذ موقعها في إدارة السياسة الدولية، كما ترفض روسيا استفزازا" يأتي من دولة مجاورة كانت جزء من الاتحاد السوفيتي، وهو ما مكنها من إعطاء درس قاس لجورجيا وإشارة تنبيه لأي تحرك اتجاه مصلحة وأمن روسيا، لهذا تدرك روسيا جيدا ما تفكر به إسرائيل والولايات المتحدة ومحاولاتهما قدر الإمكان استخدام جورجيا ورقة ضغط سياسية للمقايضة على مناطق أخرى ونقاط اختلاف في كثير من الملفات الساخنة مثل إيران والدفاع الصاروخي وغيرها( ). وهناك جانب مهم آخر في ضوء أهمية البحر الأسود للاقتصاد الروسي وخاصة ما يتعلق بتصدير النفط من خلاله إلى السفن الحوضية التي ترسوا في موانئه ومن بينها ميناء نوفورسيك، فقد وجدت روسيا أنها لابد وأن تعمل على إدامة نوع من السيطرة العسكرية على هذا الساحل والتفكير جدي(في كيفية مد هذه السيطرة لتشمل الساحل)لجورجي على البحر الأسود، بما يعني من الطبيعي أن تبحث عن السبل الكفيلة للتخلص من موقعها الجغرافي شبه المغلق خاصة وأنها لا تحقق الفائدة المرجوة من وقوعها على المحيط المنجمد الشمالي، لذا فهي تسعى بكل الوسائل الممكنة إلى التشبث بإطلالتها لبحرية المهمة عن طريق البحر الأسود، وبالمقابل أن جورجيا هي الأخرى تعتمد بشكل كبير على موانئها في البحر الأسود (موانئ باتومي، سوفومي، سويسا) سواء في عمليات الاستيراد أم التصدير، لذا أدركت إسرائيل جيد(مدى أهمية الوضع الجيبولتيكي الحرج الذي ستكون فيه كل من روسيا وجورجيا إذا أجبرتا على خسارة هذه الإطلالة البحرية وأصبحت دول حبيسة، وسيؤثر بشكل كبير على جورجيا بعلاقاتها الداخلية والخارجية وهو ما يضمن لروسيا ضرب المصالح الغربية فيها من جهة، ويجعل من جورجيا تعتمد على جوارها الجغرافي في العديد من القضايا المهمة وبالذات التجارية من جهة أخرى، ويضطرها إلى عقد الاتفاقيات والصفقات التي تديم استمرار النفوذ الروسي فيها( ). لذلك شهدت الحرب الأخيرة بين روسيا وجورجيا تحركا(أكبر للقوات الروسية عبر نشر بوارج عسكرية قبالة سواحل جورجيا، فسرت على أنها محاولة للإطباق على جورجيا، وقابلها تحركا أمريكيا من خلال إرسال سفن حربية إلى البحر الأسود بحجة نقل المساعدات الإنسانية لجورجيا، وهو ما أثار تساؤلات حول جدوى إرسال المساعدات الإنسانية باستخدام السفن الحربية، وتشير هذه الحقيقة إلى تنامي مخاوف الولايات المتحدة من سيطرة روسيا على أجزاء واسعة من البحر الأسود لم تكن تسيطر عليه من قبل،

( ) وليد نويهض. جورجيا والصراع على نفط قزوين صحيفة الوسط البحرينية العدد الأحد أغسطس

خاصة وأن العقيدة الاستراتيجية الأمريكية تقوم على مبدأ مهم حيال التعامل مع روسيا، وهو إثبات أن خصمها التقليدي لازال غير قادر على النهوض ليكون قوة مؤثرة في مسار العلاقات الدولية ولا يسمح له باستعادة مكانة في أي جزء من الأجزاء التي سبق وأن شغلها( ).

( ) دياري صالح مجيد ، حرب القوقاز وعسكرة البحر الأسود، / / شبكة المعلومات الدولية:
http://www.ahewar.org/debat

( )المصدر نفسه

الخاتمة

بينت هذه الدراسة أهمية القوقاز في فرض الهيمنة الدولية والسيادة الجيوستراتيجية والجيبولتيكيه على المنطقة، وبالنسبة إلى روسيا فتعتبر ذات أهمية بالغة كونها تمثل البعد القومي لها ونقطة عبور للوصول إلى مياه المحيط الهندي، فضلا عن رغبتها بالسيطرة على نفط بحر قزوين مما يجعلها مستعدة في سبيل ذلك إبقاء الأراضي في الجنوب تحت سيطرتها ودفع أي ثمن لتحقيق ذلك خاصة بعد التوغل الأمريكي والإسرائيلي في القوقاز، وتعد هذه المنطقة للولايات المتحدة وخاصة جورجيا أساسية في مخطط تشديد الحصار على روسيا السيطرة على البوابة القوقازية التي تمثل المنفذ الرئيسي الروسي على العالم.

وبعد أن زاد التململ الروسي وبروز مظاهر استعادة القوة والنفوذ في العلاقات الدولية، جاء التوجه الإسرائيلي إلى بقعة ملائمة لجميع توجهاته وبدعم أمريكي ليكون لاعبا رئيسيا بجميع الاتجاهات والأهداف لتحقيق مكاسب استراتيجية عديدة وخاصة ما يتعلق بالتوازن العسكري الإقليمي وضمان الأمن القومي وهي في مجملها ترتبط بأوضاع المنطقة فضلا عن تحقيق –

- تعزيز السيطرة على خطوط أنابيب نقل الطاقة من بحر قزوين إلى تركيا وسعي إسرائيل لتحقيق رغبتها في استثماره لكي تصبح معبرا لنقل النفط الخام من منطقة القوقاز إلى العالم.
- حاجة إسرائيل إلى روسيا فيما يتعلق بالتوازن العسكري الإقليمي وهذه تتصل بملفات أخرى ليست بعيدة عن منطقتنا العربية وأمنها القومي ومصالحها الاستراتيجية، في محاولة من إسرائيل لإبقاء العلاقة مع روسيا عند حدود معينة على أن لا تصل إلى زيادة العداء ومن ثم زيادة الدعم الروسي للعرب وإيران ضد إسرائيل والغرب بمعنى آخر لو لم تكن إسرائيل موجودة بقوة في القوقاز وخاصة في جورجيا والضغط على روسيا بجميع أدواتها وأساليبها لكانت إسرائيل في موقف غير الذي فيه الآن من قوة ونفوذ وسطوة.
- الشرعية والقبول اللذان يشكلان هاجس إسرائيل الأكبر، باعتبارها دولة تتصور أنها دائما محاطة بالأعداء.
- أن تكون إسرائيل قريبة من إيران وللتعامل مع المد الأصولي الإسلامي للحيلولة دون تمدده في منطقة القوقاز.
- الضغط على تركيا في تغيير بعض مواقفها تجاه الصراع العربي الإسرائيلي.

ونظرت جورجيا إلى إسرائيل كنموذج يحتذى به لدولة صغيرة الحكم والإمكانيات لكنها قوية ومتقدمة. وبكل الأحوال يمكن أن نخرج باستنتاج واحد هو مدى قوة التحرك

الإسرائيلي واختياره المنطقة المؤثرة بدقة مع غياب كامل لأي تحرك عربي ولو بأدنى مستوى يكون كابحا لهذا التوجه.